

المبادئ الإنسانية
في الشريعة الإسلامية المقدسة
ومواجهة الإرهاب الفكري

عبد الكاظمي

منشورات معالم الفكر



المبادئ الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة ومواجهة الإرهاب الفكري

الكتاب: المبادئ الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة

ومواجهة الإرهاب الفكري

المؤلف: عماد الكاظمي

الناشر: معالم الفكر / بيروت - حارة حريك

مجاور مسجد الحسين

العراق - الكاظمية المقدسة

الطبعة: الأولى

السنة: ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد () لسنة ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين،
وعلى آله الهداة المعصومين ..

إنَّ الحديث عن الإسلام حديث عن شريعة إنسانية كاملة،
تحقق لها السعادة في الدنيا والآخرة، لو تمسك الإنسان بنظامها
التشريعي، الذي سنَّه الله تعالى، إذ قال عز وجل في وصف مصدر
التشريع الإسلامي: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١)، ففي نظامه
الهداية للبشرية بصورة عامة، والبشارة للمؤمنين بصورة خاصة، وكُلُّ
ذلك لأنَّ المشرَّع هو الله تعالى الكامل المنزه من أيِّ نقصٍ، الغني عن
الخلق أجمعين، فأبي نظام يضعه غير الله تعالى فهو يحتمل النقص
والحيف، فالمتأمل في آيات الله تعالى يرى ذلك التكامل في جميع
جوانبه الحياتية، العبادية منها والاجتماعية التي تدل على كمال الخالق
وما يصدر عنه، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ

(١) سورة الإسراء: الآية ٩

وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿١﴾، فالآية صريحة في تشريعها على تلك المفردات العظيمة التي فيها دوام الحياة وقيمومتها في أحسن حال، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢)، والآيات كثيرة قد سمع بها جميع المسلمين وغيرهم، فضلاً عن سيرة النبي (صلى الله

(١) سورة النساء: الآية ٣٦

(٢) سورة النحل: الآيات ٨٩-٩١، ولتأمل في وصف الله تعالى لمصدر تشريعه ونظامه للبشرية فإنه:

١- تبيان لكل شيء تحتاجه البشرية.

٢- كتاب هداية إذا أرادت البشرية طريق الهداية والصلاح لنفسها.

٣- كتاب رحمة لما فيها من المعاني الإنسانية العظيمة التي تدعو إلى الحب والخير والرحمة والعفو والتسامح وغيرها.

٤- كتاب بشارة لمن آمن به فيبشره بما أعده الله تعالى له لأجل تمسكه به بالإيمان والعمل.

عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) الذين كانوا قرآناً ناطقاً يجسّد تلك المعاني الإنسانية الخالدة حتى آل الأمر بأولئك الأعراب أن يدخلوا في دين الله أفواجاً لما رأوه من عظمة الخلق والمنهج، فوضعوا أنفسهم وأموالهم وأبناءهم وكلّ ما يملكون بين يدي الله ورسوله وخلفائه، أمثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(١) فعلموا أنّ الحياة الحقيقية هي الحياة الإنسانية التي تتجلى فيها معاني الإنسانية العظيمة، وليست حياة الغلبة والقوة والقهر والاعتداء على الأنفس والأعراض، تلك الحياة التي كانوا قد اعتادوا عليها وكما بينها الله بوصفه: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾^(٢)، فهذه إشراقة من تعاليم الإسلام الذي أستطاع المسلمون من خلاله أن يصلوا إلى شرق الأرض ومغربها، ويأسسوا لدولتهم العظيمة، فضلاً عن القلوب التي أمتلكوها فلا تعد ولا تحصى، بعد أن رأت ما فيه من تعاليم إنسانية عظيمة،

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٤

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣

عجزت جميع المذاهب والفلسفات والنظريات المادية أن تأتي بمثل نظامه الأكمل.

إنَّ ذلك التأريخ والمجد العظيم للمسلمين لم يبقَ على حاله من العز والكرامة والرفعة لأسباب متعددة كان من أهمها اختلاف المسلمين في تأويل النص القرآني وتعدد الآراء والأقوال، فضلاً عن ابتعادهم عن مصدر التشريع الأساس الذي خلّفه النبي في أمته، ووعدهم بالهداية والسعادة إن تمسكوا به، وهما (القرآن والعتره) كما تضمنه حديثه المتواتر والمشهور بحديث الثقلين، فاختلف على إثر ذلك المسلمون إلى طرائق مختلفة كُلُّ يدَّعي الهداية والصواب، وكان من تلك الفِرَق (الخوارج) والتي انقسمت إلى اتجاهات متعددة^(١)، أولئك الذين يَرَوْنَ في أَنَّ ما يؤمنون به هو الحق، وكُلُّ ما سواه باطل وضلال، وَمَنْ لم يؤمن به فهو ضال يجب قتله، وأمتدت بعض تلك الأفكار الضالة المنحرفة إلى يومنا، ليستغل وجودها أعداء الإسلام فيهيؤوا لها ما تحتاج إليه من أجل إحيائها وبعثها؛ لتؤدي تلك الجهات

(١) للتفصيل ينظر: الشهرستاني، عبد الكريم: الملل والنحل، تص و تع: أحمد فهمي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م): ٢٣٠، السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، (مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط١، ١٤٢٨هـ) ٨١/٥ وما بعدها

وأذنبها بهذه المجموعات دورها المشؤوم في ضرب الإسلام معنويًا وماديًا؛ لئلا يؤدي رسالته العظيمة الخالدة في المجتمعات الغربية التي تتطلع إلى الأنظمة التي تحقق سعادتها، بعيدًا عن الحياة المادية المجردة، فكان من ذلك ما نراه في هذه الأيام على الساحة الإسلامية والعربية من ظهور عصابات ما يعرف بـ(داعش) في أعرق بلد للحضارة الإنسانية وهو (العراق) والتي أدت ذلك الدور الإرهابي الإجرامي باسم الدين الإسلامي تشويهاً ودعوة لتشويه معاني الإسلام العظيمة، فكان القتل والتفجير والتهجير والسبي وقطع الرؤوس وسفك الدماء رسالتهم الإسلامية الحديثة التي يريدوا أن يروّجوا لها، لذلك وجب على علماء الدين الإسلامي، بل والديانات السماوية الأخرى أن يتبرؤا من كُُلِّ تلك الأعمال الوحشية التي لا يمكن مطلقًا أن تنسب لله تعالى مهما اختلفت الديانات، بل وعلى جميع المفكرين والمثقفين والمؤسسات العلمية أن ينشروا في المجتمع مساوياً هذه الفئات الضالة المضلة التي تريد أن تفسد في الأرض، فساداً ماديًا ومعنويًا، من خلال المؤتمرات والبحوث واللقاءات ونشر التعاليم الحقيقية للدين الإسلامي، فالدين الذي يرتبط بالله تعالى هو الدين الذي يدعو إلى كرامة الإنسان وتعظيمه كما قال تعالى في دعوتها الإنسانية العامة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي

النَّبْرَ وَالْبَحْرَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿١﴾، وهذا المؤتمر ^(٢) -أيها السادة- هو انطلاقاً نحو جهاد تلك المجموعات الإجرامية بالعقل والقرطاس والقلم، وتجريدها مما تدعيه، فالإرهاب الفكري يجب أن يواجه بالفكر أولاً من خلال تجريده من أفتعته التي يتستر خلفها، فنبارك للسادة القائمين عليه في بيت الحكمة "قسم الدراسات التاريخية" لأنهم قد أحسوا بهذا الخطر الوحشي لأولئك المجرمين، فأعدوا لهم ما استطاعوا من قوة الفكر والعقيدة، والعلم والثقافة لمواجهةهم ميدانياً، من خلال طريقتين أساسيتين: الأولى: بيان أفكار تلك الفئات الهدامة الضالة. الآخر: تثقيف المجتمع نحو تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة التي لا شائبة فيها. وفي ذلك خدمة جليلة للعلم والمجتمع، ولعراقنا الجريح الذي يستحق أن نقدم له كل ما نملك لتحسينه من كل الأعداء، نسأل الله تعالى أن يتقبل هذه المشاركة بأحسن قبوله إنه سميع مجيب.

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠

(٢) هذه الصفحات لبحث تمت المشاركة فيه في بيت الحكمة للمشاركة في مؤتمرهم الموسوم (المنظمات الإرهابية في العراق -قراءة تاريخية ومستقبلية- والذي عقد بتاريخ ٣٠/١٠/٢٠١٤م.

تمهيد
الإرهاب لغةً واصطلاحاً

تمهيد: الإرهاب لغةً وأصلاً.

الإرهاب (لغة):

قال ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م): رَهَبَ بِالْكَسْرِ يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْبًا بِالضَّمِّ وَرَهْبًا بِالْتَحْرِيكِ أَي خَافَ، وَرَهَبَ الشَّيْءُ رَهْبًا وَرَهْبًا وَرَهْبَةً خَافَهُ.... وَتَرَهَّبَ غَيْرُهُ إِذَا تَوَعَّدَهُ. (١)

الإرهاب (أصلاً):

قال الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م): رَهَبَ: الرَّهْبَةُ وَالرَّهْبُ مَخَافَةٌ مَعَ تَحَرُّزٍ هَلْ طَرَابٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٢).... الرَّهْبُ أَي الْفَزَعُ. (٣)

فمن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي لهذه المادة (رهب) يمكن القول: إنه المعنى يدور حول الخوف والإخافة، سواء كان ذلك الخوف في الجانب الإيجابي كخوف النفس من الله تعالى أو مما يهددها، أم في الجانب السلبي من إخافة الآخرين بغير حق مشروع وتهديدهم.

(١) لسان العرب مادة (رهب).

(٢) سورة الحشر: الآية ١٣

(٣) المفردات مادة (رهب).

ولكن هذا الاسم للفعل (رهب) نستطيع القول إنه قد غادر
وهجر ذلك المعنى ليستعمل -اليوم- في كُلِّ عملٍ يهدد الآخرين ويبيث
فيهم الرعب، لذلك عَرَفَهُ مجمع اللغة العربية بقوله: الإرهابيون: وصفٌ
يطلق على الذين يسلكون سبيلَ العنفِ والإرهابِ لتحقيقِ أهدافهم
السياسية.^(١)

ويمكننا أن نعرفه من خلال ما تقدم بأنه: سبيل العنف والإكراه
الذي تمارسه بعض الفئات من أجل الانقياد لأطروحتها، وإلغاء سواها.
وهذا التعريف له مصاديق متعددة في تاريخنا الإسلامي، فلو
أنا حاولنا دراسة جميع الفرق التي كانت تتخذ من الإرهاب وسيلة في
تحقيق أهدافها لرأينا أن الغاية السياسية للسلطة والحكم هي الأساس
وإن كانت تحت غطاء عقيدة بصورة عامة، وقد يكون من أجل تحقيق
أهداف مذهبية محددة دون الحصول على مكاسب سياسية للحكم.

فالمجموعات التي نراها اليوم في جميع الأماكن وخصوصاً
التي تتخذ من الإسلام شعاراً لها من أجل تحقيق مكاسبها وأهدافها
بالقتل والاعتداءات على الآخرين، إنما هي منظمات إرهابية تريد أن
تحقق ذلك من خلال شعارات إسلامية ولكنها في الحقيقة هي بعيدة

(١) المعجم الوسيط مادة (الإرهابيون).

عن أبسط تعاليم الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الرحمة والعفو والتسامح والحوار الهادف، وما يراه الجميع من الأعمال الوحشية تدل على بطلان دعوتهم وأهدافهم.

فالإرهاب الفكري ناتج عن انحراف في الفكر بالإفراط والتفريط؛ لذلك يمكن لأي متبع لحقيقة الإسلام وتعاليمه المقدسة وما تقوم به تلك المنظمات الإرهابية باسم الإسلام يرى تلك المفارقات الكبيرة بين الدعوة والتطبيق، والصدق والتمويه على الآخرين، وعلى أساس هذا قد يسأل الباحث الذي يبحث عن الحقيقة الناصعة التي تحافظ على تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة والعلاقات الإنسانية بأسئلة متعددة تدور حول ما تقدم منها:

- هل المشكلة في تعاليم الإسلام؟ أم في تطبيق تعاليمه عند المسلمين؟

- ماذا يريد الإسلام من المسلمين؟ وماذا يريد المسلمون من الإسلام؟

- هل الإسلام أصبح جزءاً من مشكلة عالمية أم حلاً؟

- هل بعض المسلمين هم أساس المشكلة الإرهابية؟ أم هناك عوامل أخرى؟

وغيرها من الأسئلة التي تدور بين الباحثين للوصول إلى الحل الأمثل في مواجهة هذه المشكلة العالمية التي تهتك أبسط تعاليم الإنسانية، ومبادئ حقوق الإنسان التي وضعتها الشريعة الإسلامية المقدسة والمنظمات الإنسانية.

ونحاول في هذه الصفحات الموجزة أن نبين وجهة نظر

الشريعة الإسلامية المقدسة من خلال مبحثين:

- الأول: التعاليم الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة.
- الثاني: أسس الدعوة إلى الشريعة الإسلامية المقدسة.

المبحث الأول
التعاليم الإنسانية في الشريعة
الإسلامية المقدسة

المبحث الأول:

التعاليم الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة.

في هذا المحور نبين بإيجاز -شديد- بعض التعاليم الإسلامية المقدسة التي تؤكد على عظمة المُشَرَّع والتشريع من خلال نظامه الإنساني المتكامل الذي يرافق حياة الإنسان منذ ولادته حتى موته، وما يتعلق بذلك من خلال الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد تلك المبادئ العظيمة، فالآيات الشريفة المتعددة التي تضمنت المعاني الإنسانية السامية تخالفها تمامًا تلك الأفعال الإرهابية التي تقوم بها تلك المنظمات الإرهابية باسم الشريعة الإسلامية المقدسة، ولنتأمل بعجالة في بعض تلك الآيات.

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١)
إن الآية الشريفة تشير إلى مفاهيم إنسانية عظيمة فالآية الشريفة تؤكد على عظمة الإنسان عند الله تعالى عامة من دون النظر إلى أي انتماء ديني له، أو مكاني، أو زمني، أو غير ذلك، بل بمجرد كونه إنساناً مخلوق في هذا الوجود، لذلك أشار بقوله (بني آدم) فلم يخاطب

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠

المسلمين أو النصارى أو غيرهم، بل هي دعوة إنسانية عامة، تبين معاني التكريم الإلهي للبشرية كُُلِّها من خلال ما يأتي:

١- التكريم الإلهي للإنسان دون ترك سدى من غير نظام يحفظ له كيانهما الإنساني في المجتمع.

٢- تسخير الله عز وجل ما في الوجود لخدمة الإنسان ليتنعم بهذه النعم الإلهية، وهذا يدلُّ على مكانته عند الله تعالى، وذلك من خلال قوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرْ وَالْبَحْرِ﴾.

٣- العناية الإلهية بتوفير الرزق المادي والمعنوي لعباده عامة، وهذا يدل على عظمة العبد عند ربه ومقامه لذا كان الاعتناء منه بتوفير خير الرزق وأعظمه من طيبات النعم لا خبائثها، إذ قال عز وجل: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

٤- التفضيل من الخالق للإنسان دون سواه من المخلوقات الأخرى من جميع الجوانب المادية والمعنوية، وتسخير تلك الموجودات لهذا المخلوق الذي فضله الخالق، فقال عز وجل: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾.

إنَّ ما تقدم باختصار يبين عظمة الإنسان عند خالقه، ودعوة للتفكير والتأمل في عظمة الخالق والمخلوق، بل دعوة جلية لاحترام

وتكريم الإنسان وعدم الاعتداء عليه مطلقاً، إلا إذا ارتكب أمراً يستحق عليه عقاباً، لذلك نرى التشديد العظيم من الله تعالى في جريمة قتل الإنسان بغير حق، إذ قال عز وجل عند وقوع أو جريمة قتل في الأرض من قبل قبايل تجاه أخيه هايل: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾. (١)

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. (٢)

إن هذه الآية الشريفة من الآيات المباركة التي تبين وتدعو إلى التعايش السلمي بين البشرية كلها لذلك كان أبتداء الخطاب من الله تعالى بخطابه للناس فضلاً عن أي انتماء لهم، ويمكن إجمالاً قراءة الآية الشريفة من خلال بيان ما يأتي:

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣

١ - عالمية الشريعة المقدسة من خلال قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فلفظ الناس يؤكّد الدعوة الإنسانية العالمية للشريعة الإسلامية المقدسة، وهذا اعتناء من المُشرِّع لعباده، وما فيه من دلالة على مقامهم عند الله تعالى .

٢ - العناية الإلهية في إيجاد المجتمعات الإنسانية في هذه الدنيا، بعد الإيجاد الفردي وتسخير ذلك لخدمة الناس من خلال التعارف بينهم في المجالات المتعددة الكثيرة التي لا يمكن حصرها، وهذا ما أشار إليه بقوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

٣ - بيان مقياس الكرامة والتقرب عند الله تعالى، ووضع أسس ذلك في المجتمع، وهو "التقوى"، فتقوى الله تعالى هي السبيل للوصول إلى رضاه والكرامة عنده، وبذلك تجريد للنفس عن النزعات الشهوانية ورذائل الأخلاق والتي منها الاعتداء على الآخرين وممتلكاتهم.

إنَّ هاتين الآيتين الكريمتين تبين الأبعاد الإنسانية التي يتنى عليها نظام الشريعة المقدسة من خلال مخاطبته -أبتداء- البشرية كُلِّها، ومن ثم يكون بعث الرسل والأنبياء ودعوتهم إلى الإيمان بشريعة إلهية، وترك الباب أمامهم مفتوحًا للتفكّر والتأمّل في اختيار طريق الصلاح والهداية أو لا، وهذا ما أكّده الخطاب القرآني في عدد من آياته الشريفة،

إذ قال تعالى في بيان الحجة وتامها من إرسال الأنبياء (عليهم السلام) وتبليغهم الرسالة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٢)، فلنتأمل في هذا الأسلوب الإلهي الأممي الرسالي في الدعوة من حيث ترك الاختيار في الإيمان من بعد القناعة والدعوة الحسنی.

ختامًا أحاول بيان نعمة بعث الأنبياء إلى الأمم من خلال آية واحدة في القرآن الكريم إذ قال عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣)، فالآية واضحة

(١) سورة الحج: الآيات ٤٩-٥١

(٢) سورة يونس: الآية ١٠٨

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٣

من حيث المعاني والدلالة على هذه النعمة في هداية البشرية نحو صلاحها وكمالها، وللعلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م) في تفسيره بيان وتوضيح مهم جداً للآية إذ يقول: ((الآية تُبَيِّنُ السَّبَبَ فِي تَشْرِيعِ أَصْلِ الدِّينِ وَتَكْلِيفِ النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ بِهِ، وَسَبَبَ وَقُوعِ الْاِخْتِلَافِ فِيهِ، فَالْاِخْتِلَافُ اِخْتِلَافَانِ: اِخْتِلَافٌ فِي أَمْرِ الدِّينِ مُسْتَنَدٌ إِلَى بَغْيِ الْبَاغِينَ دُونَ فِطْرَتِهِمْ وَغَيْرِزَتِهِمْ، وَاِخْتِلَافٌ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَهُوَ فِطْرِيٌّ وَسَبَبٌ لِتَشْرِيعِ الدِّينِ، فَالِدِينُ الْإِلَهِيُّ هُوَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِسَعَادَةِ هَذَا النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَالْمَصْلِحُ لِأَمْرِ حَيَاتِهِ، يَصْلِحُ الْفِطْرَةَ بِالْفِطْرَةِ، وَيَعَدُّ قُوَاهَا الْمَخْتَلِفَةَ عِنْدَ طَغْيَانِهَا، وَيُنظِّمُ لِلْإِنْسَانِ سَلْكَ حَيَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْآخِرِيَّةَ، وَالْمَادِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ)).^(١)

فالدين هو الأساس في حلّ الخلافات والاختلافات التي تحصل بين الناس؛ لأنه النظام الأكمل الذي يحقق السعادة للإنسان، وأما الشيخ "ناصر مكارم الشيرازي" فقد ذكر مراحل سبعة يمر بها

(١) محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م) ١١٣/٢ وفيه بحث مهم ولطيف يبيّن أبعاد الخلق والغاية من بعث الأنبياء للتفصيل ينظر: ١١٣/٢-١٤٥

الإنسان لها أثر في تهذيب سلوكه وتأثره في تعامله وتفاعله مع رسالة الأنبياء (عليهم السلام):

المرحلة الأولى: مرحلة حياة الإنسان الابتدائية حيث لم يكن للإنسان قد أُلّف الحياة الاجتماعية، ولم تبرز في حياته التناقضات والاختلافات، وكان يعبد الله تعالى أستجابة لنداء الفطرة ويؤدي له فرائضه البسيطة. المرحلة الثانية: وفيها اتخذت حياة الإنسان شكلاً اجتماعياً، ولا بد أن يحدث ذلك؛ لأنه مفطور على التكامل، وهذا لا يتحقق إلا في الحياة الاجتماعية.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة التناقضات والاصطدامات الحتمية بين أفراد المجتمع البشري بعد استحكام وظهور الحياة الاجتماعية. المرحلة الرابعة: وتتميز ببعث الله تعالى الأنبياء لإنقاذ الناس، حيث تقول الآية: (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين).

المرحلة الخامسة: هي التمسك بتعاليم الأنبياء وما ورد في كتبهم السماوية لإطفاء نار الخلافات والنزاعات المتنوعة (الاختلافات الفكرية والعقائدية).

المرحلة السادسة: وأستمر الوضع على هذا الحال حتى نفذت فيهم الوسوس الشيطانية وتحركت في أنفسهم الأهواء النفسانية، فأخذت

المبادئ الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة ومواجهة الإرهاب الفكري ٢٤

طائفة منهم بتفسير تعليمات الأنبياء والكتب السماوية بشكل خاطيء وتطبيقها على مرادهم.

المرحلة السابعة: الآية الكريمة بعد ذلك تُقسّم الناس إلى قسمين، القسم الأول المؤمنون الذين يتهجون طريق الحق والهداية ويتغلبون على كلِّ الاختلافات بالاستنارة بالكتب السماوية وتعليم الأنبياء.^(١)

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢،

المبحث الثاني
أسس الدعوة إلى الشريعة
الإسلامية المقدسة

المبحث الثاني:

أسس الدعوة إلى الشريعة الإسلامية المقدسة.

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد وضعت حدودًا معينة في بيان أسس وسبل الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، وأغلب تلك الأسس قائمة على الدعوة والحوار وما يتعلق بهما، ويمكن قراءة ذلك من خلال ما تضمنته الآيات المباركة في ذلك تصريحًا تارة، وتلميحًا أخرى، وَمَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ تَلَاوَةً تَدْبُرِ وَتَأْمَلِ - كما هو المفروض - لرأى عظمة الدعوة في الشريعة الإسلامية وسلميتها، فضلاً عن الروايات الواردة في السُّنَّة الشريفة، فلم يلجأ المسلمون إلى القتال والحرب إلا في مجالات محدودة جدًّا ووفق نظام إنسانيٍّ، غير عدوانيٍّ مطلقًا، وسوف نبين ذلك من خلال مطلبين: الأول ما يتعلق بالآيات الشريفة التي تؤكدُ أسس الدعوة الحسنى في الشريعة الإسلامية، والثاني ما يتعلق بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآداب الجهاد؛ لنرى بعد ذلك عظمة التشريع الإسلامي وأبعاده الواسعة التي يمكننا من خلال نظامه تحقيق السعادة للبشرية، وبيان زيف وبطلان المنظمات الإرهابية التي تدَّعي الإسلام، وتطبيق أحكامه، والدعوة إليه بالقتل والتخريب والدمار.

- المطلب الأول: الدعوة الحسنى في الشريعة الإسلامية.

إنَّ الحسنى والسلم والسلام من أهم سبل الدعوة إلى الإسلام، بل إلى جميع الشرائع الإلهية، وهذا يمكن أستنباطه من خلال نصوص الشريعة المقدسة، ونحاول بإيجاز ذكر بعض تلك الآيات الشريفة وما يتعلق بها، والتي هي بمثابة فقرات نظام الشريعة الإسلامية.

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

إنَّ الآية المباركة واضحة الدلالة في الدعوة إلى الحوار مع أهل الديانات الأخرى من غير المسلمين فيما يتعلق بعبادة الله تعالى والدعوة إليه، وذلك من خلال الاتفاق على كلمة قد أجمع الناس عليها وهي التوحيد والعبودية لله تعالى دون سواه، وهذه الدعوة تدلُّ على الروح السامية لتعاليم النظام الإسلامي من خلال فتح الحوار والمجال أمام الآخرين للتفكير والتدبر في الدعوات السلمية الموجهة إليهم، فإنَّ قُبِلَتْ هذه الدعوات فهو خير، وإنَّ رُدَّتْ فالأمر مسلمٌ إلى الله تعالى في

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤

إقامة الحججة عليهم في الدنيا، لذا قال الله مخاطبًا المسلمين في حال عدم قبول دعوتهم: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَكُفُّوا أَسْهَادُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ وفي ذلك غاية السلم والسلام في الدعوة الإسلامية، قال العلامة الطباطبائي في بيان ما يتعلق بالآية الشريفة: ((إِنَّ النُّبُوَّةَ أَنْبَعَاثُ إِلَهِيَّةٌ وَنَهْضَةٌ حَقِيقِيَّةٌ يُرَادُ بِهَا بَسْطُ كَلِمَةِ الدِّينِ، وَإِنَّ حَقِيقَةَ الدِّينِ تَعْدِيلُ الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ فِي سَيْرِهِ الْحَيَوِيِّ، وَيَتَّبَعُهُ تَعْدِيلُ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْفَرْدِ، فَيَنْزِلُ بِذَلِكَ الْكُلَّ مِنْزَلَتَهُ الَّتِي نَزَلَهُ عَلَيْهَا الْفِطْرَةُ وَالْخَلْقَةُ، فَيُعْطِي بِهِ الْمَجْتَمَعُ مَوْهَبَةَ الْحُرِّيَةِ وَسَعَادَةَ التَّكَامُلِ الْفِطْرِيِّ عَلَى وَجْهِ الْعَدْلِ وَالْقِسْطِ، وَكَذَلِكَ الْفَرْدُ فَهُوَ فِيهِ حُرٌّ مُطْلَقٌ فِي الْإِنْتِفَاعِ مِنْ جِهَاتِ الْحَيَاةِ فِيمَا يَهْدِيهِ إِلَيْهِ فَكْرُهُ وَإِرَادَتُهُ، إِلَّا مَا يَضُرُّ بِحَيَاةِ الْمَجْتَمَعِ، وَقَدْ قُبِّدَ جَمِيعُ ذَلِكَ بِالْعِبُودِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالْخُضُوعِ لِسَيْطَرَةِ الْغَيْبِ وَسُلْطَنَتِهِ))^(١)، وهذا كلام في غاية الأهمية والدقة والعمق في التفكير لبيان عظمة الدعوة، وأسسها التي تقوم عليه، وليس ما نراه من أبشع صور الإجرام الذي يُراد منه تشويه صورة الإسلام والمسلمين للوقوف أمام الدعوة إليه.

(١) الميزان في تفسير القرآن ٢٨٥/٣

- قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَطَلٍّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١).

إنَّ هذه الآية الشريفة هي من الآيات التي بيَّنت سُبُل الدعوة إلى الله تعالى، فهي تشير إلى أمور مهمة ثلاثة في الحوار مع الآخرين والتسليم لله تعالى عن طريق الدعوة والمجادلة، وقد بينت الآية الشريفة أنَّ الدعوة قائمة على أساس ذلك ويجب التمسك به في الخطاب مع الآخر وإقناعه بالإيمان في الشريعة المقدسة، بل والتقييد كذلك:

١- الحكمة. أي بالعقل والدعوة العقلانية التي تهذب الفكر عن الشبهات والانحراف.

٢- الموعظة الحسنة. أي الكلمة والأسلوب الذي يفتح القلوب لاستماعها والتأثر فيها.

٣- المجادلة بالأحسن. أي الحوار الهادف المتكامل وفق الطريقة الحسنة التي يتفق عليها المتحاورون، وليس التعصّب الأعمى لفكرة معينة.

وفي ذلك كمال السلم والتسامح والوئام في الشريعة المقدسة بتعاملها مع الآخرين، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين، وفي ذلك درس بليغ للذين ينادون للحوار بين الأمم والديانات، قال الشيخ "ناصر مكارم الشيرازي" في بيان الآية الشريفة: ((إِنَّ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ تَبَيَّنَ أَهَمُّ الْأَوَامِرِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي التَّحَصُّنُ بِهَا عِنْدَ مُوَاجَهَةِ الْمُخَالَفِينَ عَلَى أَسَاسٍ مَنْطِقِيٍّ، وَيُمْكِنُ تَسْمِيَةَ ذَلِكَ بِالْأَصُولِ التَّكْتِيكِيَّةِ وَمَنْهَجِ الْمَوَاجَهَةِ فِي الْإِسْلَامِ ضِدَّ الْمُخَالَفِينَ، كَمَا وَيَنْبَغِي الْعَمَلُ بِهِ كَقَانُونٍ كَلِّيٍّ شَامِلٍ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، فَالْحِكْمَةُ أَوْلَى خُطْوَةٍ عَلَى طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ وَهِيَ التَّمَكُّنُ مِنَ الْاسْتِدْلَالِ وَفَقِ الْمَنْطِقِ السَّلِيمِ، أَوْ النُّفُوذِ إِلَى دَاخِلِ فِكْرِ النَّاسِ وَمُحَاوَلَةِ تَحْرِيكِ وَإِقْطَاقِ عَقُولِهِمْ، كَخُطْوَةٍ أَوْلَى فِي هَذَا الطَّرِيقِ، وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَهِيَ الْخُطْوَةُ الثَّانِيَّةُ فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، بِالِاسْتِفَادَةِ مِنْ عَمَلِيَّةِ تَحْرِيكِ الْوُجْدَانِ الْإِنْسَانِيِّ، وَذَلِكَ لِمَا لِلْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ مِنْ أَثَرٍ دَقِيقٍ وَفَاعِلٍ عَلَى عَاطِفَةِ الْإِنْسَانِ وَأَحَاسِيْسِهِ، وَالْمُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ هِيَ الْخُطْوَةُ الثَّلَاثَةُ وَتَخْتَصُّ بِتَخْلِيَةِ أَذْهَانِ الطَّرْفِ الْمُخَالَفِ مِنَ الشَّبَهَاتِ

العالقة فيه والأفكار المغلوطة؛ ليكون مستعداً لتلقي الحق عند المناظرة)).^(١)

فهاتان صورتان قرأيتان عن حقيقة الدعوة في الشريعة الإسلامية المقدسة، والتي تمثل النظام الأكمل للبشرية، دون سواه من الأنظمة الدنيوية التي تقوم على أساس الأغراض الدنيوية فقط.

- المطلب الثاني: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآداب القتال في الشريعة الإسلامية.

في هذا المورد نحاول أن نسلط الضوء على الأسلوب التطبيقي العملي في الشريعة المقدسة، وبيان بعض تلك السُّبل المتعلقة بذلك، ومن أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما له من منزلة في حفظ النظام الاجتماعي، والجهد عند الاضطرار إليه، وذلك من خلال التأمل والتدبُّر في بعض الآيات والروايات، فالله تعالى من خلال نظامه الكامل في الشريعة الإسلامية المقدسة أراد لهذه الأمة أن تكون خيرًا من الأمم السالفة، بل مطلقاً، وذلك من خلال التمسك بتعاليم الشريعة المقدسة والعمل بها كما أنزلت - وليست مزاجية أو أنتقائية -، فقال تعالى:

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٢٦٩/٨ - ٢٧٠

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١)، فإنَّ قوام الخير لهذه الأمة لا يكون إلا بسببين رئيسيين من أسس صلاح الفرد والمجتمع نحو الخير والسعادة، أحدهما يتعلق بين العبد وربّه، أي في نطاق الفرد وهو (الإيمان بالله) وما يترتب عليه، والآخر يتعلق بين أفراد المجتمع أي في النطاق العام وهو (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وإنَّ هذا لا يكون من غير وضع شروط وضوابط له، يجب على المسلمين القيام بها بعد توفرها، وليس جزأفاً، وقد بيّنت الشريعة المقدسة تلك الشروط التي يجب معرفتها قبل القيام بالدعوة عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها:

- ١ - معرفة المعروف والمنكر ولو إجمالاً، فلا تجب على الجاهل.
- ٢ - احتمال أئتمار المأمور بالمعروف بالأمر، وأنتهاء المنهي عن المنكر بالنهي.
- ٣ - أن يكون الفاعل مصرّاً على ترك المعروف وأرتكاب المنكر.

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠

٤ - أن يكون المعروف والمنكر منجزاً في حق الفاعل، فإن كان معذوراً في الفعل أو الترك لم يجب.

٥ - أن لا يلزم من الأمر والنهي ضرر في النفس أو في العرض أو في المال على الأمر أو على غيره من المسلمين لم يجب.^(١)

إنَّ هذه الشروط التي وضعها الفقهاء تدلُّ على أهمية التقيُّد في الدعوة، فضلاً عن مراتب النهي عن المنكر والتي تبدأ بالقلب فاللسان فاليد من دون إحداث جرح أو قتل، وكُلُّ ذلك يؤكِّد عظمة الشريعة المقدسة ونظامها المتكامل، بل إنَّ ما يدل على عظمة التشريع هو استمرار الدعوة إلى الإيمان بالإسلام والتمسك بتعاليمه، إذ قال تعالى في الآية نفسها: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ففي ذلك دعوة صريحة إلى اعتناق الدين الإسلامي من قبل الآخرين؛ لما فيه من روح وحياة حقيقتين للبشرية كُلهما.

وهنا يمكن أن يُطرح السؤال الآتي: إذا كان الدين الإسلامي يدعو أهل الكتاب (النصارى واليهود) وغيرهما إلى الإسلام وهو على

(١) الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، (بغداد، ط٢٦، ١٤١٠هـ، د.مط)

يقين بأنَّ الإنسان لو تُرِكَ وفطرته لآمن بالإسلام، فلماذا لم يلتزم بعض المسلمين بذلك من خلال أعمالهم الإرهابية التي يقومون بها؟

فالجواب واضح من خلال الاطلاع على الأفكار التي يؤمنون بها، والغايات التي يريدون تحقيقها، فأما أفكارهم ففيها من الانحراف عن تعاليم الشريعة المقدسة التي تم بيانها فيما تقدم، وأما الغايات التي يريدون تحقيقها هو جعل الناس عبيداً لتلك الأفكار المنحرفة، فضلاً عن تدخُّل بعض الأطراف المعادية للإسلام وتشجيع تلك المنظمات على تحقيق أفكارها ورغباتها لضرب الإسلام من خلال تشويهه تطبيقاً وتعاليمه بأمثال هؤلاء؛ لتبقى صورة الإسلام مشوَّهة - لا سمح الله - غير ناصعة أمام غير المسلمين، فتقف تلك الأعمال الإجرامية عائقاً في الدعوة للإسلام، وهذا ما هو حاصل اليوم فعلاً في العالم العربي المسلم، من قيام تلك المجموعات الإرهابية الأعرابية المدعومة بالفكر والمال والسلاح لقتل المسلمين، وإدخال السرور بذلك على أعداء الإسلام من صهيونية عالمية. (١)

والآيات في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة، وقد دعا القرآن في آية أخرى إلى الأمر نفسه بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

(١) وقد صرح أحد الصهاينة بقوله: إنَّ حقيقة الربيع العربي هو ربيع لإسرائيل.

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

وأما فيما يتعلق بالجهاد ووجوب الدفاع فالإسلام حريصٌ على حفظ النفوس والدفاع عن حقوقها عامة، وعن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان خاصة؛ لأنَّ النظام الإسلامي شريعة متكاملة غايتها الإنسان وما يتعلق به، فالجهاد لم يشرَّع من أجل مصالح دنيوية زائلة، بل من أجل أهداف عظيمة، يعد من أهمها حفظ النفوس من الهتك والاعتداء، وصيانة الحرمات والممتلكات، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(١)، فالمستضعفون كما تبين الآية الشريفة يستصرخون المؤمنين في نصرتهم وهذا ما تبينه الآية الشريفة من خلال الأمور الثلاثة الآتية:

١ - رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا / وفي ذلك دعوة لبيان عظمة الظلم الواقع عليهم، وتلبُّس الحاكمين به.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤

(٢) سورة النساء: الآية ٧٥

٢- وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا / وفي ذلك دعوة منهم إلى أن يكون لهم أولياء في رفع الحيف والظلم عنهم، وما يلاقونه من أذى الظالمين.

٣- وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا / وفي ذلك دعوة منهم وأستغاثة للتأييد والنصر والدفاع من أجلهم؛ لتحقيق النصر الأكيد على الظالمين.

ويمكننا أن نرى من خلال ما تقدّم أهمية تشريع الجهاد في رفع الظلم عن المؤمنين ونصرتهم وخلاصهم من كلّ أذى يصيبهم، فليس الجهاد هو اعتداء على الآخرين وإيقاع الظلم والأذى بالمؤمنين الذين قد يختلفون معهم في بعض أصول العقيدة كما نراه من هؤلاء الإرهابيين وأعمالهم الإجرامية في العراق كلّ يوم، فالإسلام في جميع تعاليمه يحافظ على المبادئ العامة التي تلتزم بها الأمم وتحترمها؛ إيماناً منه بأهمية وعظمة حفظ ذلك، وخصوصاً ما يتعلق بالنفس، وذلك من خلال التمسك بالعلاقات العامة القائمة بين المجتمعات ابتداءً، ثم تهذيبها بعد ذلك إن كان فيها انحرافاً مخالفاً للشريعة المقدسة، ومن أروع تلك التجليات في نظامه هو احترام الأيام في القتال التي كانت تؤمن بها الجاهلية يومذاك، ومنها الأشهر الحرم، وهذه من أعظم الدعوات للتمسك بالقيم والمبادئ، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ

عِنْدَ اللَّهِ ثُنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١١﴾

وهناك روايات كثيرة قد أكدت على وجوب التمسك بآداب القتال حفاظًا على أساس الدعوة إلى الشريعة المقدسة القائمة على الحسنى، والتأمل في تلك الروايات يبيّن ذلك، ونذكر في هذه الصفحات روايتين شريفتين:

١- كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا بعث سريةً دعا بأمرها فأجلسه إلى جنبه، وأجلس أصحابه بين يديه، ثم قال: سيروا بسم الله وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا صبيًا، ولا امرأةً، وأيّما رجلٍ من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى أحدٍ من المشركين فهو جارٌ حتى يسمع

كَلَامَ اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ تَبَعَكُمْ فَأَخَوْكُمْ فِي دِينِكُمْ،
وَإِنْ أَبِي فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَبْلغُوهُ مَأْمَنَهُ. ^(١)

إنَّ في هذه الرواية تمام الإنسانية والحسنى حتى في القتل
والحرب مع الأعداء، وهي مصداق لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٢)، فلو تأملنا في الرواية وما تضمنته من معانٍ
ومبادئ إسلامية لتعرَّفنا حقيقة الدعوة إلى الله في شتى سبل الدعوة،
فيجب عند القتال بعد أن يكون خروجهم بأمر من الله، وفي سبيل الله أن
يجتنب المقاتلون:

١ - الغدر، لما فيه من مخالفة أدنى التعاليم الإنسانية. ^(٣)

٢ - الغل. ^(٤)

(١) الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تح وتص: علي أكبر الغفاري، (دار
الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٦٧ ش) ٣٠/٥ كتاب (الجهاد) باب
(إعطاء الأمان) الحديث ٩

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧

(٣) الغدر هو ترك العهد الذي يتعهده الإنسان مع آخرين عليه، وقد نهت الشريعة
المقدسة عن ذلك في كثير من موارد، فمما روي عن أمير المؤمنين (عليه
السلام): ((ياك والغدر؛ فإنه أقبح الخيانة، وإنَّ الغدر لمُهان عند الله))،
وقوله: ((الغدر شيمة اللثام)). ميزان الحكمة ٢٢٣٠/٥

٣- التمثيل. (٢)

٤- قطع الشجرة. (٣)

٥- قتل الشيخ والصبي والمرأة. (٤)

(١) الغلّ هو الخيانة والعداوة، وقد نهت الشريعة المقدسة عن ذلك في كثير من مواردّها، فمما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((الغل داء القلب))، وقوله: ((الغل يحبط الحسنات)). ميزان الحكمة ٢٢٩٠/٥

(٢) أي التنكيل بالإنسان عند قتله أو بعده، وقد نهت الشريعة المقدسة عن ذلك في كثير من مواردّها، فكان مما يوصي به أمير المؤمنين (عليه السلام) عند الحرب: ((فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثّلوا بقتيل)). الكافي ٥٧/٥

(٣) وفي ذلك كناية عن الإيذاء المبالغ فيه تجاه البيئته، وكل ما يتعلق بذلك، فلا يجوز الإيذاء وتدمير الأرض وما فيها عند القتال، إن لم يكن في ذلك ضرورة أو أذى، فمن قول النبي (صلى الله عليه وآله): ((ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً)). وسائل الشيعة ٤٨/١٥

(٤) وفي هذا كمال التعامل الإنساني مع الضعفاء؛ لأنّ أولئك قد لم يكونوا من أسباب الحرب دون سواهم، أو لضعفهم عن قتال المسلمين وإنما هم أهل للعدو، ولبيان أنّ الإسلام يريد قلع جذور الأذى والاعتداء وهؤلاء ليسوا ممن يقوم بذلك، وخصوصاً ما ورد في النساء، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنّ رسول الله "صلى الله عليه وآله" نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلن، فإن قاتلت أيضاً فأمسك عنها ما أمكنك)) وسائل الشيعة ٥٠/١٥

٦ - عدم الابتداء بالقتال إلا بعد إقامة الحجّة. ^(١)

فليت أولئك الذين يدعون الإسلام والدعوة إلى دولة إسلامية كما يزعمون بهتاناً وكفراً أنّ يتأملوا في كيفية القتال مع المشركين، فضلاً عن المسلمين، وهل أنهم تمسّكوا بواحدة من هذه التعاليم المقدسة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أم أنّ سبيلهم الوحشية والقتل لتحقيق مآربهم.

٢- روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): لَا تَقَاتِلُونَهُمْ حَتَّى يَبْدَوْكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَوْكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوَرًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ، وَلَا تَهْبِجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمَنَ أَعْرَاضَ كُمْ، وَسَبَّيْنَ أَمْرَاءَ كُمْ. ^(٢)

(١) وهذه هي سيرة الإسلام إذا أضطر إلى القتال فلا يكون إلا بعد الدعوة والنصيحة وإقامة الحجّة؛ لثلا يبقى عذر لهم عند مقاتلتهم، وسيرة النبي وأهل بيته (عليهم السلام) خير شاهد على ذلك. ومما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((وإذا لقيتم عدوّاً للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم، وكفوا عنهم؛ ادعوهم إلى الاسلام فإن دخلوا فيه فأقبلوا منهم وكفوا عنهم...)). وسائل الشيعة ٦٠/١٥

(٢) الشريف الرضي، محمد بن الحسين: نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده،

إنَّ من أعظم ما تَوَكَّد عليه الرواية الشريفة هو التعامل مع النساء والرفق بهم وإنَّ أعتدوا على المقاتلين بقول أو سَبٍّ، فينبغي أن يُعفا عنهنَّ، فإنَّ هذه هي النظرة الإسلامية المثلى للتعامل مع المستضعفين، وليس ما تقوم به تلك العصابات الإجرامية من قتل وسبي وأعتداء عليهن.

ختامًا نقول: إنَّ ما تقدم بإيجاز من نظرة الشريعة المقدسة في الدعوة إلى الإسلام هو غيظ من فيض، لا يمكن لأي باحث أن يحيط به مهما بلغ من العلم؛ لأنها شريعة عظيمة صادرة من المطلق ومصدر الكمال والإنسانية، والإنسان محدود ولا يمكنه أن يبلغ ذلك أبدًا، إلا بما فتح الله عليه من أبواب العلم والحكمة، ولكن يجب على الدولة عدم التواني مطلقًا في القصاص من أولئك المجرمين وإقامة الحدود عليهم، لأخذ الحق للمظلومين، وقطع دابر شرورهم ومفاسدهم، والقصاص منهم من أعظم الأعمال التي تقرب إلى الله من الناحية الدينية والدينيوية، وسبب للعدالة الاجتماعية، وقد روي في عظمة ذلك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: إقامة حدٍّ من حدود الله خيرٌ

من مطرٍ أربعين ليلةً في بلادِ الله^(١)، وليس هناك أي انتظار في تطبيق الحكم على المجرمين بدواعٍ مختلفةٍ مختلفةٍ كما يحدث اليوم حيث السجون تمتلئ بأولئك المجرمين ولا تطبيق للعدالة بحقهم، حتى آل الأمر أنهم يعيشون في السجون عيشة المترف متأملًا لمن يهرّبهُ من سجنه، أو يدفع رشوة لقلب الحكم عليه، والروايات قد أشارت إلى وجوب تنفيذ الحدِّ بكلِّ مَنْ يثبت عليه الجرم دون أدنى انتظارٍ وتمهُّلٍ، فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: متى وجب الحدُّ أُقيمَ، وليس في الحدودِ نظرَةٌ^(٢)، ولا يخفى أنَّ الشريعة المقدسة قد وضعت لكلِّ جريمة عقوبة محددة لقطع دابر الجرائم والاعتداء على الآخرين، فضلاً عن أخذ الحق للمظلوم، وإقامة العدل في المجتمع.

فو رجعنا إلى ما تم طرحه من أسئلة في أولى هذه الصفحات لأصبحت الرؤية -إجمالاً- واضحة جلية دون أدنى شك، فلا توجد أي مشكلة في تعاليم الشريعة المقدسة، فهي تدعو إلى الإنسانية وتكاملها،

(١) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر:

دار الحديث، قم، ط٢، ١٤١٦هـ) ٥٥٥/٢ باب (الحدود) الحديث ٣٤١٠

(٢) المصدر نفسه ٥٥٧/٢ باب (الحدود) الحديث ٣٤٣٣

والتخلُّقُ بمكارم الأخلاق، وإنما الخلل في الذين يطبِّقون هذه التعاليم، وخصوصاً الذين يريدون أن يتَّخذوا من الدين سبيلاً لمآربهم الدنيئة.

والإسلام يريد من المسلمين أن يكون مثلاً يُقتدى بهم في تطبيق هذه المبادئ والتعاليم العظيمة؛ ليكون كلُّ مسلم رسولاً إلى مجتمعه لإنقاذه من الضلالة والضياع.

والإسلام نظام متكامل يدعو إلى الكمال في شتى مجالات الحياة، بل إنَّ في تشريعاته الكمال في الحفاظ على الإنسانية لو تم الامتثال لتعاليمه في المستويات المختلفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وله تمام القدرة على حل المشاكل العالمية مهما بلغت من التعقيد، والأعداء على يقين من ذلك.

ختاماً نقول: إنَّ أعداء الإسلام يعلمون يقيناً بمدى عظيمة الإسلام وتشريعاته، وقدرته في الهيمنة على كل الأنظمة الوضعية، وإقناع الناس في الدخول إلى الإسلام أفواجاً—وهذا ما حصل—؛ لذلك قاموا بمكر ودهاء باحتضان بعض المسلمين المنحرفين فكرياً وعقائدياً واجتماعياً ودعمهم بكلِّ ما يحتاجون إليه مالٍ وسلاحٍ وأفكارٍ ضالة ليقتلوا المسلمين وغيرهم من أجل الوصول إلى إحدى أهدافهم

وأعظمها وهو تشويه صورة الإسلام بأنه دين الإرهاب والقتل والدماء والاعتصاب وغيرها، فضلاً عن تدمير البلاد الإسلامية، وزرع الأحقاد والفتن بين المسلمين، وانشغالهم في الاقتتال فيما بينهم وترك الصهيونية العالمية تدمر بلدانهم، وتنهب خيراتهم، وتغصب أراضيهم، وغير ذلك؛ لذلك نحن بحاجة إلى ثورة فكرية عامة لكشف هذه المخططات وزيفها وبطلانها، وإزالة اللبس والشك عن الآخرين في نظرهم للشريعة الإسلامية المقدسة وما تضمنته من مبادئ إنسانية في تشريعاتها.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الكلمات دعوة صادقة -على اختصارها الشديد- في بيان حقيقة وعظمة المبادئ الإنسانية للشريعة الإسلامية المقدسة، وأن تكون موعظة وتذكرة لمن هم أهل لها، وأن يتقبلها بأحسن قبوله إنه سميع مجيب.

خاتمة ووصايا:

- إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة هي نظام سماوي متكامل يصبو نحو تحقيق السعادة للبشرية كُلِّها من خلال تعاليمه التي تضمنتها الشريعة سواء في أبواب العبادات أم المعاملات بل في القتال والديات وإقامة الحدود والقصاص.

- إنَّ الإرهاب قد وُلِدَ مع النزعات الاعتدائية الأولى للإنسان فكان فريدياً، ثم تطوَّر ليأخذ أطواراً أخرى حتى صار بمستوى فِرَقٍ ومجموعات ومنظمات، بل دول قائمة على الاعتداء وهتك الحرمات وسلب الحقوق، قد اختلف القناع الذي يتسترون به فكان الدين أحد تلك الأقنعة المزيفة.

- إنَّ أعداء الإسلام حاولوا بجهود كبيرة من تربية بعض المنظمات المتطرفة لتكون لها أداة في ضرب المسلمين، وتشويه صورة الإسلام الناصعة أمام الآخرين تنفيراً لهم من الدين الإسلامي، فضلاً عن اقتتال المسلمين فيما بينهم؛ ليكون الأمر يسيراً في تحقيق مآربهم الخبيثة.

- يوصي الباحث بضرورة قلع جذور الإرهاب بكلِّ أنواعه الفكري، والاقتصادي (المالي)، والسياسي، والعسكري، والجغرافي (الديموغرافي)، وبذل أقصى الجهود من أجل تحقيق ذلك من خلال

الندوات العلمية، والبحوث التخصصية، والاستعانة بالخبرات الفردية والجماعية.

- ويوصي الباحث بضرورة التركيز على الإعلام بكُلِّ أنواعه في تثقيف عامة المجتمع حول أساليب الإرهابيين الإجرامية، وبيان أعمالهم التي يقومون بها من أجل تحقيق أهدافهم.

- ضرورة مراجعة المناهج العلمية التي يتم تدريسها في المدارس والجامعات وتضمينها أسس الشريعة المقدسة، والدعوات إلى السلم والعيش الهادئ مع الآخرين، فضلاً عن احترام الديانات الأخرى، واحترام المذاهب الإسلامية ورموزها دون الإساءة إلى أحدٍ منهم.

- المراقبة الشديدة لمصادر تمويل الإرهاب المادية والمعنوية، فالمادية من حيث المال والسلاح والتقنيات الأخرى، والمعنوية من حيث فتاوى التكفير والقتل والانتقام التي تصدر من حاشية السلاطين والضالين وأعوان الكافرين.

- عدم التواني في القضاء على المجموعات والمنظمات الإرهابية الفتيّة، وتركها لتتطوّر وتعلن عن نفسها بعد ذلك اعتماداً على قدراتها الذاتية، أو تكون جاهزة للالتحاق بالمنظمات الكبيرة.

- أهمية تنفيذ القصاص العادل بحق الإرهابيين المجرمين، والسرعة في التطبيق، وتطهير المحاكم من القضاة غير الكفوئين، وتوفير الحماية اللازمة المادية والمعنوية للكفوئين والنزيهين منهم.
- ضرورة عقد الاتفاقيات العالمية للقضاء على الإرهاب، وخصوصاً الدول المتضررة منه، والدول المجاورة للعراق، وفق المصالح المتبادلة والمشاركة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الخوئي، أبو القاسم (السيد) (ت ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، منهاج الصالحين، (بغداد، ط ٢٦، ١٤١٠هـ، د.مط).

٢- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م): المفردات في غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٨م).

٣- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم، ط ٢، ١٤١٦هـ).

٤- السبحاني، جعفر: بحوث في الملل والنحل، (مؤسسة الإمام الصادق، قم، ط ١، ١٤٢٨هـ).

الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ/١٠١٥م): نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، (دار المعارف، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ).

٥- الشهرستاني، عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، ١٢٤/١ تص و تع: أحمد فهمي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت،

ط ٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

المبادئ الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة ومواجهة الإرهاب الفكري ٥٠

٦- الشيرازي، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، (دار

إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٧- الطباطبائي، محمد حسين (السيد) (ت ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م): الميزان

في تفسير القرآن، تص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي،

بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

٨- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ/٩٤١م): الكافي

تح وتص: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣،

١٣٦٧ش).

٩- مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية،

(دار الدعوة، تركيا، ١٩٨٩م، د.ط).

١٠- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم

(ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط ١،

١٣٠١هـ).

الفهرس

٣	مقدمة
١١	تمهيد: الإرهاب لغةً وأصطلاحاً
١٧	المبحث الأول: التعاليم الإنسانية في الشريعة الإسلامية المقدسة
٢٧	المبحث الثاني: أسس الدعوة إلى الشريعة الإسلامية المقدسة
٢٨	المطلب الأول: الدعوة الحسنى في الشريعة الإسلامية
	المطلب الثاني: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآداب
٣٢	القتال في الشريعة الإسلامية
٤٩	خاتمة ووصايا
٤٥	قائمة المصادر والمراجع
٥١	الفهرس

إنَّ مبادئ الشريعة الإسلامية المقدسة قائمة على تكامل الإنسان نحو صلاح نفسه والمجتمع وليس الانتقام والقتل والتهديد، وهذه الصفحات هي محاولة وأنطلاقة نحو جهاد تلك المجموعات الإجرامية بالعقل والقرطاس والقلم، وتجريدها مما تدَّعيه، فالإرهاب الفكري يجب أن يواجه بالفكر أولاً من خلال تجريده من أقنعتة التي يتستر خلفها؛ ليكون الناس على بينة من تعاليم الشريعة المقدسة، ومحاولة الآخرين تشويهاً لتحقيق نزعاتهم.

معالم الفكر / بيروت - حارة حريك مجاور مسجد الحسين

العراق - الكاظمية المقدسة